عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد02 - خاص - أوت 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-999-014 (DOI)

انتشار الأوبئة والأمراض السارية في ليبيا وتطور طرق مكافحتها 1835-1943

Epidemics and communicable diseases in Libya and the development of methods of combating them 1835-1943

د. الزرقاء سالم محمد
قسم التاريخ والآثار- جامعة سرت / ليبيا
alzargasalem4@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/02/19 تاريخ المراجعة:2023/03/05 تاريخ القبول:2023/07/19

الملخص:

شهدت ليبيا -حالها حال غيرها من الدول العربية ودول العالم-العديد من الأوبئة والأمراض، حيث يأتي الطاعون والكوليرا في مقدمتها خلال فترات تاريخية مختلفة، وكانت هذه الأوبئة قادمة للبلاد إما عن طريق التعامل التجاري مع العديد من موانئ الدول الموبوءة، أو أنها انتشرت نتيجة للإهمال السلطات الحاكمة فيها للخدمات الصحية المقدمة للمواطن، وضعف الحياة الاقتصادية خاصة فيما يتعلق بسوء المعيشة.

وتهدف الدراسة إلى توضيح أهم الأوبئة كالطاعون والكوليرا التي شهدتها ليبيا خلال فترات تاريخية مختلفة، ودور السلطات العثمانية، والإيطالية، والبريطانية في مكافحتها، وطرق انتقال هذه الأوبئة في ليبيا، و تطور طرق مكافحتها خلال فترة الدراسة التي تناولت حكم ثلاث دول لليبيا هي الحكم العثماني والاستعمار الإيطالي والإدارة البريطانية، خاصة وأنه كان لها تأثيراً سلبياً على السكان من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى موت الكثير من سكان الولاية.

الكلمات المفتاحية:الطاعون، الكوليرا، الحجر الصحي، ليبيا، العلاج، السكان، المستشفيات، البعثات الطبية

Summary:

Like other Arab countries and countries of the world, Libya has witnessed many epidemics and diseases, of which the plague and cholera come in the forefront during different historical periods, and these epidemics were either coming to the country through commercial dealings with many ports of the affected countries, or they spread as a result of the negligence of the ruling authorities in services. Health provided to the citizen, and poor economic life, especially with regard to poor living.

The study aims to clarify the most important epidemics such as the plague and cholera that spread in Libya during different historical periods and the role of the Ottoman, Italian and British authorities in combating them, by answering the problem of the study, which focuses on how epidemics are transmitted in Libya, and methods of combating them developed during the study period that dealt with the rule of Three countries for Libya are the Ottoman rule, the Italian colonialism and the British administration, in order to reach the results of this study, the most prominent of which is that Tripoli witnessed many epidemics that had a negative impact on the population economically and socially and led to the death of many residents of the state.

key words: Epidemics, plague, cholera, quarantine, prevention methods, population.

-مقدمة

إن دراسة الأوبئة والأمراض في ليبيا عبر التاريخ مرتبط بالظروف الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية حيث شهدت البلاد انتشاراً واسعاً للعديد من الأوبئة التي تركت أثاراً سلبية سيئة على السكان خاصة في ظل استفحال الفقر والمجاعة بين السكان، وتطورت طرق مكافحتها تبعاً لتطور الطب حتى تم القضاء عليها.

وتكمن أهمية دراسة انتشار وباء الطاعون والكوليرا داخل ليبيا، في التعرف على هذه الأوبئة وطرق انتقالها إلى البلاد وأثارها على السكان، وتهدف الدراسة إلى توضيح دور السلطات الحاكمة في القضاء عليها والحد من انتشارها، وإسهام البعثات الطبية المحلية والأجنبية التي زارت البلاد خلال هذه الجوائح في مكافحتها بطرق عديدة عبر فترات تاريخية مختلفة.

أما إشكالية الدراسة الرئيسة فهي تتركز في كيفية ظهور الأوبئة و الأمراض السارية في ليبيا؟ وتطور طرق مكافحتها عبر التاريخ وللإجابة على هذه الإشكالية سوف تستخدم الدراسة منهج التحليل التاريخي الذي يوفر آلية علمية لطرح الموضوع بشكل موضوعي علمي، من خلال مبحثين هما: الأول: أهم الأمراض السارية التي شهدتها ليبيا، والآخر: تطور طرق مكافحة الأوبئة والأمراض في ليبيا.

1-أهم الأمراض السارية التي شهدتها ليبيا 1835-1943:

تشير المصادر التاريخية إلى أنه على الرغم من أن ولاية طرابلس "ليبيا" لا توجد بها أمراض وأوبئة سارية، لكنها تعرضت من حين لآخر إلى انتشار بعض الأمراض والأوبئة، التي انتشرت فيها عن طريق المسافرين سواء الذين يأتون إلى الولاية، أو الذين يعبرونها بواسطة البر من خلال تجارة القوافل، أو التجارة البحرية، أو عن طريق قوافل الحج، فقد كانت طرق انتقال العدوى متعددة وسريعة، ويكفي أن تمر القافلة على منطقة موبوءة ينتقل منها المرض إلى منطقة أخرى، وهكذا ينتشر الوباء ويكون سبباً في حدوث كوارث نتيجة لانعدام الوقاية والطرق العلاجية. (أنتوني كاكيا، 1975:104)

ظلت ولاية طرابلس الغرب عرضة للأوبئة والأمراض الفتاكة التي أدت إلى تأخرها اقتصاديا وديمغرافيا واجتماعيا، وترجع أسباب تفشي هذه الأوبئة إلى:

1- اهمال حكومة الولاية للجوانب الصحية وعدم السعي إلى تطويرها.
2- كثرة البرك المستنقعات التي كانت سبباً رئيسياً في انتشار الحشرات والبعوض المسببة لنقل الأمراض.
3- عدم الاهتمام بالنظافة العامة وسط المدينة وخارجها، خاصة الأحياء اليهودية، مما تسبب في انتشار الأوساخ.
4- عدم الاهتمام بالمسافرين القادمين من مناطق موبوءة في حوض البحر المتوسط صحبة القوافل الصحراوية القادمة من جنوب الصحراء.
5- لم تهتم الجهات المسؤولة بالولاية بالجانب الوقائي إلا في فترات متأخرة من الحكم العثماني الثاني، كتلقيح الأهالي ضد الأمراض، أو عمل محاجر صحية لعزل المشتبه فيهم.
6- غياب الوعي الصحي، والجهل والفقر السائد بين السكان، واعتمادهم على الطب الشعبي في علاج بعض هذه الأوبئة، مما زاد من سرعة انتشارها وكثرة عدد الوفيات بينهم. (مروان، محمد، 2009: 101)

شهدت ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني انتشار العديد من الأوبئة والأمراض الفتاكة التي كان لها الأثر السلبي على السكان من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية خاصة في ظل سنوات القحط والجفاف وانتشار المجاعة (أنتوني كاكيا، 1975، 104)، ومن أهم الأوبئة التي انتشرت في الولاية: وباء الطاعون، والكوليرا وهما في الغالب ينتشران في الولاية عن طريق مسافرين قادمين من مناطق موبوءة في الحجاز، أو موانئ البحر المتوسط، فقد ذكر الحشائشي أنه وجد مرض الكوليرا في مدينة زله الواقعة في الجنوب وقال" حالات مرضى الحمى كثيرة جداً في الصحراء الشرقية والوسطى فزان (الحشائشي، 1988: 76)، ومن أهم الأوبئة التي انتشرت في ليبيا:

1-1-الطاعون:

يعد وباء الطاعون من أخطر الأوبئة التي اجتاحت الولايات العربية كونه وباء سريع الانتقال، ويأتي غالباً بعد انتشار المجاعة، وتعد ولاية طرابلس الغرب إحدى هذه الولايات، ففي العهد القرمانلي (1711 – 1835) حدثت مجاعة كبيرة عام 1767 ما لبثت أن تجددت مرة أخرى عام 1784، وذهب ضحية هذه المجاعة أعداداً كبيرة من سكان الولاية الذين كانوا يلقون حتفهم يومياً، وقد وصفت الرحالة (ليدي ورتلي) في يومياتها أوضاع الولاية المأساوية قائلة : "إن المدينة في ظروفها الراهنة، تمر بمرحلة مرعبة من المجاعة حتى أن المرور بشوارعها على الأقدام، أو فوق ظهور الخيل، أصبح شيئاً مخيفاً مفزعاً بسبب الجوعى الذين يموتون كل يوم على الطرقات". (روسي،1974: 305)

عصف الطاعون بولاية طرابلس الغرب خلال فترات متعاقبة ما بين 1657-1676 وفتك بأرواح ما يزيد عن ستين ألف شخص؛ وانتقل هذا الوباء إلى الولاية عن طريق قوافل الحجيج القادمون من مكة الكرمة على ظهر السفن المصرية،(فيرو، 1983، ص239) وفي سنة 1837 انتشر الطاعون في الولاية، وانتقل إليها عبر موانئ البحر المتوسط عن طريق السفن وبواسطة الفئران الموبوءة بها، ونتج عن هذا الانتشار للمرض سقوط عدد من الوفيات بين السكان، ووصفت المس توللي- التي أقامت عشر سنوات في بلاط طرابلس- مرض الطاعون بقولها " لقد هاجم الوباء المدينة منذ شهرين، ثلاثة آلاف مخلوق نعم ثلاثة آلاف وارتهم جبانات طرابلس وخسرتهم البلاد إلى الأبد، أنهم يبلغون حوالي ربع سكان المدينة".(توللي،1967:197)

وقضى هذا الوباء على المئات من سكان المدينة بسبب النقص الحاد في الوسائل الوقائية والطبية، وتفيد مصادر أخرى أنه كان يموت يوميا من الأهالي ما يتراوح بين 35-40 شخصا، وهاجر كثير من سكان المدينة إلى تونس ومصر وذهب القناصل وبعض أفراد الجالية الأوروبية إلى مالطا، وإيطاليا، وتونس، وتشير أحد تقارير القنصلية الفرنسية إلى أن حوالي 876 قد توفوا بسبب وباء الطاعون، ونتيجة لذلك اتخذ والي طرابلس طاهر باشا إجراءات وقائية لحماية جيشه من الوباء، فأمر بنقل الحامية إلى

غريان التي تقع على بعد ثمانين كيلومتر جنوب مدينة طرابلس حتى زوال الخطر عن المدينة، كما قررت الحكومة التونسية منع أي سفينة قادمة من طرابلس الرسو في موانئها لا خوفا من انتشار الوباء فيها.(الديك، 2009: 228)

وفي أغسطس 1874 ظهر مرض الطاعون مجددا في مدن المرج وتوكره وبرسس شرق مدينة طرابلس، ووصلت اللجنة الطبية من اسطنبول والمكونة من الدكتور راضي اليوناني وليونارد آرنود طبيب سابق في سلاح البحرية الفرنسية، والطبيب لافال الفرنسي، وبدأوا في تطويق مدينة برسس وقرروا إنشاء كردون" حجر صحي" في مدينة بنغازي كإجراء وقائي، غير أن سكان المدينة اخترقوا الحجر وخرجوا من المدينة، فاتخذت السلطات اجراءات صارمة ضدهم وتم انقاد المدينة من هذا الوباء. (أرشيف دار المحفوظات التاريخية، وثيقة غير مؤرخة)

وكتب القنصل الفرنسي ديلابورت سنة 1876 تقريرا عن مرض الطاعون الذي ظهر في منطقتي برسس وتوكرة في إقليم برقة، واتخذ المجلس الصحي المكون من مجموعة من الأطباء كل الاحتياطات اللازمة لكي يحاصروا المرض، وأن يحولوا دون انتقاله إلى المناطق الأخرى، وذلك بتأسيس مقر للحجر الصحي في مدينة سرت وشددوا الحراسة عليه وأمروا الحراس بعدم استقبال أي قافلة تجارية قادمة برا من بنغازي وإرجاعها من حيث أتت ولو بالقوة، والحقيقة أن هذا التقرير لم يعطنا تصوراً دقيقاً حول عدد الإصابات، ولا الأدوية المستعملة في علاجه باستثناء فرض الحجر الصحي بالقوة على السكان . (Marc-Andre Pey: 79)

وقد أشار الرحالة الإيطالي مانفريدو كامبيرو عضو جمعية ميلانو للاكتشافات التجارية بإفريقيا، في تقريره عن الأوضاع الصحية بولاية طرابلس عند زيارته إلى المناطق الشرقية من الولاية " برقة "خلال 6 مارس إلى 5 ابريل من سنة 1881 منطلقا من بنغازي إلى درنة سالكا طرق مختلفة في ذهابه وإيابه حتى تمكن من زيارة أغلب مناطق برقة الساحلية، والجبلية ركز خلالها على الأوضاع الصحية في بنغازي، والمرج ،ولاحظ كثرة انتشار الأمراض بهما بسبب عدم النظافة وكثرة الحشرات، حيث ذكر أن مرض الزهري،

أو السيلان الذي جلبه البحارة والأوربيون، وتجار القوافل معهم كان منتشراً بشكلٍ كبيرٍ في مدينة المرج لدرجة أنه لم تخلو خيمة واحدة من الإصابة به، أما مرض الدرن الرئوي الذي انتشر بين الفقراء في الأحياء الفقيرة كان نتيجة لسوء التغذية وعدم توفر السكن الصحي. (بازامة، مصطفى،1994: 302-303)

ويشير تقرير نائب القنصل الفرنسي في بنغازي إلى أن مرض الجدري المبرقع، أو المنمش قضى على خمسة أو ستة أشخاص أوروبيين من بينهم رئيس الإرسالية الكاثوليكية، وكثر الحديث بين الناس عن هذا المرض الذي يصيب الجلد بالاحمرار لمدة ما بين ثمانية إلى عشرة أيام، ويستبعد التقرير أي علاقة بين هذا المرض ووباء الطاعون، غير أنه في الواقع وحسب الأعرض التي ظهرت على المصابين تبين أنه وباء الطاعون الدبلي، وهو المعروف بالموت الأسود، وتتمثل أعراضه في ظهور مفاجئ لحُمّى، والقشعريرة، والصداع، والتعب أو التوعك، وآلم في العضلات. (محمود الديك، 2009: 233)

وفي هذا الشأن تسلم القنصل الفرنسي" بلانشيه" بطرابلس تقريراً رسمياً من الدكتور" ديكسون" رئيس الإدارة الصحية في 22 يونيو 1846 يشير فيه إلى أن عدد الوفيات خلال الثلاثة أسابيع الأولى من هذا الشهر نقصت بشكل كبير، ولم يسجل غير سبعة عشر حاله وفاة، ويؤكد نائب القنصل أن المكتب الصحي في بنغازي كان يعطي تصريحات، أو شهادات صحية للقادمين من خارج الولاية دون أي اعتبار للأسس والتعليمات بخصوص الحجر الصحي مقابل مبلغ من المال يدفعه المسافر للحاكم التركي.(Arnaud, Léonard (Dr). .39): sur la peste de Benghazi d'Afrique. Essai)

وبالفعل قام المتصرف بدعوة المجلس البلدي للمشورة، ولكنهم لم يكترثوا بذلك واعتبروا الأمر لا يستحق الكثير من الاهتمام ولم يهتم لنصائح اللجنة الطبية وخطورة الموقف، ومن الواضح أن المتصرف التركي كان يتصرف وفقاً لمصالحه الخاصة وما يجنيه من ربح مقابل تجاهله لتطبيق الحجر الصحي، ويبدوا أن القنصل الفرنسي في طرابلس كان يتابع الأحداث الصحية بناءً على تقارير نائبه في بنغازي، لأنه كان على خلاف مع

متصرف بنغازي الذي كان يعرقل نشاط فرع القنصلية في هذه المنطقة، فأنتهز القنصل الفرصة وقام بمخاطبة سامح باشا ونبهه بما يفعله المتصرف من أفعال تضر بسكان المنطقة، وقام الباشا بإرسال لجنة صحية وأمرها بتطبيق التعليمات وانقاذ المدينة من الطاعون. (محمود الديك، 2009: 236-237).

ويذكر الطبيب الفرنسي أرنو ليونارد في تقريره عندما قدم الى برقة في سنة 1888مع اللجنة الطبية لمقاومة انتشار الطاعون في برقة بأنه خلال حديثه مع شيخ نجع عيت حمد كميل أكد له بأن خيام النجع كانت خاليه من أي أعراض للمرض إلى أن قدم تاجر أسمه أحمد العروب من المرج حاملا معه عدة أقمشه للبيع من بينها قبعات للنساء، يذكر أنه إحدى الفتيات أشترت قبعة منه وهي سعيدة بنت محمد تبلغ من العمر 11 سنة ظهرت عليها أعراض مرض الطاعون وتوفت بعد أن نقلت الأعراض لأخيها البالغ من العمر عامين الذي توفى بعد أربعة أيام، وبعدها ذلك انتقل المرض لكل خيام النجع.(Arnaud, Léonard (Dr). Essai. sur la peste de Benghazi d'Afrique,45)

وشهدت سنة 1913 ظهور وباء الطاعون في شرق ليبيا وذلك بعد وصول أعداداً كبيرة من الجنود الأرثريين الذين جُندوا لمحاربة المجاهدين بليبيا، وانتقل المرض بين أهالي المنطقة وتسبب في وفيات عديدة.

1-2-الكوليرا:

وهو من أحد الأمراض الخطيرة الوافدة إلى الولاية عن طريق الحجاج القادمين من الأراضي المقدسة ،أو صحبة المسافرين القادمين من أحد الموانئ العثمانية، ففي شهر سبتمبر سنة 1850 ظهر وباء الكوليرا في طرابلس، وانتشر هذا المرض أيضا عبر الموانئ والبواخر وهو ينتشر سريعا خاصة في المدن المكتظة بالسكان، وفتك بالأهالي لمدة ثلاثة شهور، ويقال أن حدة هذا الوباء في طرابلس ضعفان ما حدث في تونس وثمانية أضعاف ما حدث في مرسيليا، فقد كانت حصيلة الوفيات 800 شخص في طرابلس فقط منهم قنصل سردينيا بروكي Brocchi وبعض موظفي القنصليتين الإنجليزية والإسبانية. (روسي، 1974: 268)

وتُطلعنا صحيفة طرابلس الغرب في عددها رقم 1344 الصادر سنة 1910 عن عدد الإصابات بوباء الكوليرا خلال الأسبوع الأول من شهر أكتوبر سنة 1908 بلغت 31 إصابة، وعدد الوفيات بلغ 35 حالة (صحيفة طرابلس الغرب، (العدد 1344، سنة1910)، وفي عددها رقم 1345 الصادر في نفس السنة ذكرت الصحيفة أن الإصابات بهذا الوباء خلال الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر سنة 1908 حالتين عدد الوفيات ثلاثة أشخاص (صحيفة طرابلس الغرب، (العدد 1345، سنة 1910)، يتضح من ذلك أن عدد الإصابات خلال هذه الشهر قد خفت بشكل كبير.

وفي أواخر سنة 1910 انتشر وباء الكوليرا في الولاية خاصة بين اليهود وانتقل هذا المرض من نابولي إلى طرابلس عن طريق أسرة يهودية جاءت من نابولي، ونتيجة لذلك أرسل الوالي إبراهيم باشا إلى وزارة الداخلية في اسطنبول في رسالة مؤرخة في 4 نوفمبر 1910 أن عدد المصابين بوباء الكوليرا منذ ظهوره في 20 سبتمبر 1910 بلغ 186 شخصا توفى منهم 110 كلهم من اليهود عدا اثنان من المسلمين يعملان في أفران بمحلة اليهود.

ويبدوا أن وباء الكوليرا قد أزداد انتشارا في طرابلس في سنتي 1910-1911 فمن خلال تقرير مفتش الصحة بطرابلس مؤرخ في 14 يونيو 1911 تعترف بانتشار وباء الكوليرا في إيطاليا، وحاول اتخاذ الإجراءات الوقائية فاتصل بطبيب الحجر الصحي بالميناء لاتخاذ الإجراءات الوقائية بالنسبة للركاب القادمين من إيطاليا بسبب انتشار الكوليرا فيها وضرورة تطبيق الحجر الصحي " الكرنتية" ضد المسافرين القادمين من مدينة نابولي في إيطاليا.(دار المحفوظات التاريخية، ملف الصحة: وثيقة رقم 832)

وما تجدر الإشارة إليه أن اليهود استغلوا وباء الكوليرا سياسيا للمطالبة بسيطرة إيطاليا على ولاية طرابلس الغرب ونلاحظ ذلك من خلال رفضهم تطبيق الإجراءات الوقائية التي قامت بها السلطات الصحية بالبلدية، وقاما بمظاهرات قادها " مسيو صامان" المترجم بالقنصلية الايطالية بطرابلس وغوستاف أربيب شقيقه أميلو، واعتدى المتظاهرون على الشرطة وعلى طبيب البلدية واتجهوا إلى القنصلية الإيطالية وهم يهتفون " الحكومة تظلم اليهود لا نريد الحكومة العثمانية نريد الحكم الإيطالي تحيا إيطاليا".(دار المحفوظات التاريخية: وثيقة رقم870)

إضافة إلى العديد من الأمراض التي انتشرت في ليبيا ومنها مرض الدرن: الذي يسمى أيضا بمرض السل والاسم الشعبي له هو مرض الرقيق ومن أعراضه الهزال والضعف العام مع سعال شديد ونفث الدم، وهذا المرض انتشر بشكل كبير في المدن المزدحمة خاصة مع سوء التغذية وسوء التهوية بالمنازل الأمر الذي سهل انتقال المرض بواسطة الرذاذ والتنفس، وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا المرض انتشر سنة 1880 في طرابلس بعد وصول قافلة من الرقيق من أواسط أفريقيا إلى طرابلس، خاصة أنها كانت في تلك الفترة محطة ونقطة كبيرة في تجارة الرقيق مع أوروبا.(أبوشويرب، عبدالكريم، 2009: 168)

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر وباء الجدري في ليبيا خاصة في المناطق الوسطى منها فسجلت حالات عديدة في هون وسوكنه والجفرة وسرت وودان والسبب الرئيسي لهذا الوباء يتمثل في إهمال التطعيم والازدحام في المدن وسوء الأحوال المعيشية، الأمر الذي دفع بالسلطات الإدارة البريطانية في ليبيا إلى إرسال فريق من الأطباء إلى تلك المناطق وفرضت إجراءات العزلة والعلاج إلى أن خف عدد الإصابات بها (أبوشويرب، عبدالكريم، 2009: 178)

إضافة إلى وباء الملاريا الذي انتشر في مناطق جنوب ولاية طرابلس خاصة الواحات التي تكثر فيها المستنقعات الراكدة، وهي تعد مكانا خصبا لتكاثر البعوض الحامل لجرثومة الملاريا، ولهذا المرض تسميات مختلفة منها: مرض الحمى، مرض صمهود، مرض أبودبوس، حمى تاورغاء، حمى مرزق، ويذكر الرحالة جون فرنسيس ليون الذي زار ليبيا سنة 1818 برفقة صديقه الطبيب ريتشي الذي أصيب بالحمى في مدينة مرزق جنوب ليبيا وتوفي بها، بأن تضخم الكبد والطحال والربو والسل هي أيضا من الأمراض التي لاحظها خلال زيارته لليبيا.(جامي، عبدالقادر ،1979: 95)

داء الرمد التراكوما: وهو من الأمراض المعدية المتوطنة وأكثر حالات الإصابة به كانت في المناطق الرملية الجافة التي تقل بها المياه، وتتعرض لهبوب عواصف رملية، ومن أعراض المرض حدوث حبيبات صغيرة داخل جفن العين الأمر يؤدي إلى تشويه القرنية، وتذكر المصادر التاريخية أنه في سنة 1930 فحص الطبيب كازاتي تسع الأف شخص من

مختلف مناطق فزان في الجنوب الليبي فوجد خمس الأف منهم مصابون بأمراض العيون المختلفة في حين أن 4 الأف شخص مصابون بمرض تراكوما العيون" الرمد". (سويسي، محمد، 2009: 742)

أمراض الأطفال: وهي متعددة وأهمها الحصبة أو ما يعرف شعبيا باسم النمنم الذي أدى إلى العديد من حالات الوفاة بين الأطفال في مختلف المدن الليبية، إضافة مرض السعال الديكي والكزاز والدفتيريا وشلل الأطفال. (أبوشويرب، عبدالكريم، 2009: 176) .

2- طرق مكافحة الأوبئة والأمراض في ليبيا 1835-1943:

بدأ الاهتمام بالوضع الصحي في ولاية طرابلس من قبل الولاة العثمانيين في نهاية العهد العثماني الثاني، فبعد تفشي هذه الأوبئة داخل ولاية طرابلس بدأت بعض الصحف مثل: صحيفة طرابلس الغرب، وصحيفة العصر الجديد ،بشن حملات ضد الحكومة بمطالبتها بضرورة الاهتمام بالجانب الصحي ومواجه هذه الأوبئة والأمراض ومن أهم الإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية في طرابلس هي:

2-1- الحجر الصحي:

اهتم حكام طرابلس بعملية الحجر الصحي بعد تفشي الأوبئة والأمراض بها عن طريق المسافرين القادمين من موانئ البحر المتوسط عامة، وأخذ الاحتياطات الوقائية حيالهم، وأطلعتنا اليوميات الليبية لحسن الفقيه حسن على أجراء محاجر صحية " كرنتينة" وتعني مدة الحجر الصحي وهي من العدد Guaranta أي أربعين يوما، لعدة سفن قادمة من مناطق موبوءة بأمراض سارية. (حسن الفقيه حسن، 1984: 1400)

وعندما ظهر وباء الكوليرا في مالطا في يونيو 1839 وبعد تعافي ولاية طرابلس من وباء الطاعون، فقد أمر باشا طرابلس بإرجاع كل السفن القادمة من مالطا، وبالفعل أجبرت السفن على العودة ولم يسمح للمسافرين بالنزول ومنع التجار من إنزال بضاعتهم، رغم أمتعاض التجار لهذا الإجراء لأنهم كانوا ينتظرون وصول السلع القادمة

من مرسيليا وبقية الدول الأوروبية عبر ميناء مالطا، ونظرا لما عانته الولاية من نقص في السلع نتيجة وباء الطاعون فأن الأهالي والتجار بدأوا في الضغط على باشا طرابلس بضرورة إيجاد حل لهذه الأزمة، لذلك سمح باشا طرابلس بدخول البضائع القادمة من مالطا إلى ميناء طرابلس بشرط أن تخضع للحجر الصحي لمدة خمسة عشر يوما.(الديك، محمود ، 2009: 229)

وزاد الاهتمام العثمانيون بالحجر الصحي في كل ولايات الدولة فعقدت اجتماعات مع الدول الأوروبية لوضع خطة وشكلت لجان من هذه الدول لتحديد وتخصيص أماكن الحجر الصحي في كافة موانئ البحر المتوسط، فقد بعث والي طرابلس الغرب محمود نديم باشا (1860-1866) برسالة إلى قنصل إيطاليا بطرابلس بتاريخ 27 أكتوبر 1866 يخبره فيها بتحديد وتجديد الحجر الصحي بباب البحر ببرج أبي ليلى. (دار المحفوظات التاريخية، طرابلس: وثيقة غير مصنفة)

كما طلبت نظارة الحجر الصحي من طبيب الحجر الصحي في نواحي طرابلس" تاجوراء وجنزور" بعدم السماح للسفن القادمة من نواحي مصر، وبيروت، والشام، وقبرص، والبحر الأحمر، بالرسو في تلك المناطق، وتحويلها إلى ميناء طرابلس لإتمام إجراءات الحجر الصحي لها. (دار المحفوظات التاريخية طرابلس: وثيقة مؤرخة في 12 يوليو 1883)

لم تقتصر المحاجر الصحية على الركاب والسفن القادمة من خارج الولاية، بل شملت الولاية نفسها ووضعت قيود مشددة على الانتقال من منطقة إلى أخرى داخل الولاية خاصة في المناطق التي تنتشر فيها الأوبئة وذلك للحيلولة دون تفشي الوباء فيها، واحتجاز من يشتبه في إصابتهم بتلك الأمراض في المحاجر الصحية، فعلى سبيل المثال عندما أشتبه في اليهودي جون وزوجته القادمين من إيطاليا بإصابتهما بوباء الكوليرا بعد ظهور بعض الأعراض عليهما فتم حجرهما في بيتهما وشكلت لجنة لمداواتهما ومتابعة حالتهما الصحية. (جريدة طرابلس الغرب، 1910: العدد 1338)

وعندما ظهر الطاعون في المناطق الشرقية للولاية بمنطقتي المرج وبرسس سنة 1874 خوفا من انتقاله إلى بقية المناطق، قرر مجلس الولاية عمل نقاط حراسة في

مناطق مختلفة منها منطقة سرت التي تتكون نقاط الحراسة فيها من خمسين فارس تم توزيعهم على موارد المياه التي تتردد عليها القوافل لمنعها من الاقتراب منها، أو الاختلاط بالناس والحيوانات، وإجبارها بقوة السلاح على الرجوع، كما حذر المجلس كل من يتهاون في تنفيذ ذلك بالمعاقبة الشديدة. (دار المحفوظات التاريخية، طرابلس: وثيقة غير مصنفة)

وفي سبتمبر 1842 عرفت طرابلس مرض التيفود الذي استمر عدة شهور وسبب في وفاة عدد من السكان، وفي السنة التالية انتشر مرض الجدري في طرابلس أيضاً، وأمتد منها إلى المدن المجاورة لها من زوارة غربا إلى مصراته شرقا، ويذكر الرحالة الإنجليزي جيس ريتشاردسن أنه كان يوجد في ميناء زوارة ممثل للحجر الصحي. (ريتشاردسن، جيمس، 1993: 30)

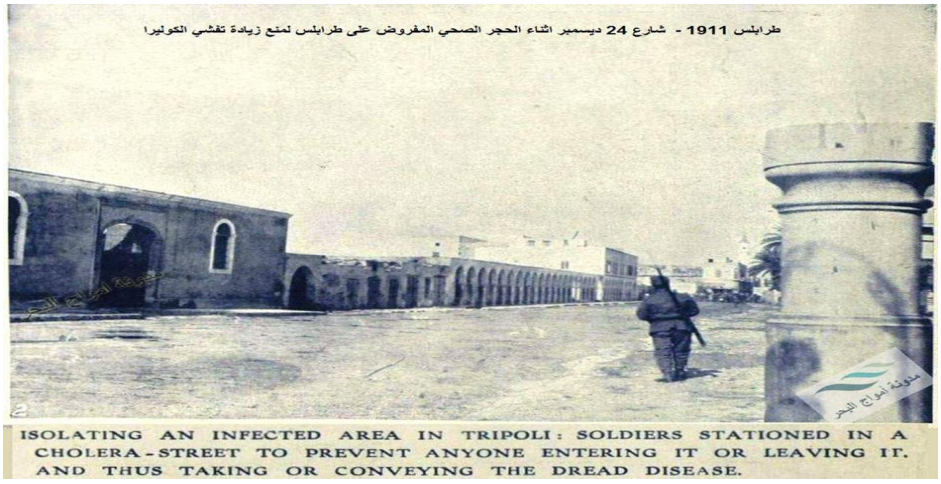

صورة توضح الحجر الصحي في طرابلس سنة 1911

كما وضعت الحكومة مجموعة من التدابير والإجراءات التي يجب إتباعها في الجهات التي تظهر بها إصابات بوباء كورونا منها:

1. تأسيس أكواخ " براكات" وبيوت مؤقتة لأجل عزل المرضى بها.
2. تطهير البيت الساكن به الموبوء وتبخيره، وكافة أشياء المريض الخاصة.

3. وضع علامة واضحة مطلية بطلاء أصفر على كل بيت أصيب أهله بهذا الوباء.
4. حجر المشتبه فيهم بالإصابة مدة خمسة أيام وتمديدها إلى خمسة أيام أخرى حتى ينجلي الاشتباه عنهم.
5. وضع الآبار العمومية والينابيع تحت المراقبة الصحية الدائمة.
6. في الأماكن التي لا يوجد بها مياه صحية غلي الماء قبل شربه.
7. تنظيف المراحيض العامة والخاصة مع تبخيرها.
8. تفريق الازدحام ومنع انعقاد الأسواق ومنع إقامة الأفراح.
9. حفظ جميع أنواع الأغذية في أوعية مغطاة.
10. يمنع إخراج الحليب ومشتقاته من المحلات المصابة.
11. تكليف مفتش الصحة بإخبار الحكومة المحلية عن الإصابات يوميا وإرسالها إلى المجالس الطبية والصحية. (جريدة طرابلس الغرب، 1911: العدد 1370).

2-2- التلقيح ضد الأمراض والأوبئة:

اهتمت الحكومة العثمانية بموضوع التلقيح كجانب وقائي فقد أصدرت نظارة الداخلية بإسطنبول قرار عمم على كل ولاياتها منها ولاية طرابلس الغرب سنة 1888 بضرورة تلقيح الأهالي ضد مرض الجدري، وضرورة تلقيح الأطفال منذ الولادة، وشدد العثمانيون على إجبار السكان على أخذ اللقاح وأصدروا قانون يلزم تلاميذ المدارس، والموظفين، والتجار والصناع على ضرورة أخذ اللقاح، وفي هذا يذكر الرحالة جيمس ريتشاردسن إلى وجود طبيب في مدينة طرابلس يدعى جامكو المالطي قام بتطعيم جميع أفراد القافلة، ولم يذكر أي تفاصيل عن هذا الإجراء ولا نوع التطعيم، في حين ذكر أن جميع من طعموا كانوا خاليين من الأمراض. (ريتشاردسن، جيمس، 1993، 44)

وعندما انتشر مرض الجدري في ولاية طرابلس سنة 1890 أمرت السلطات العثمانية بضرورة توزيع للقاح على المستوصفات، وتم إلزام الأهالي بضرورة تطعيم أطفالهم خلال مدة ستة أشهر من تاريخ ولادتهم، وحد قانون عقوبات لكل من يمتنع عن التلقيح، أو يتأخر عن تقديمه من الأطباء.

2-3-المستشفيات:

في الحقيقة أن الدولة العثمانية لم تهتم بتأسيس مرافق صحية من مستشفيات، ومستوصفات في كافة مدن وقرى الولاية، وإنما اقتصر وجودها على المدن الكبيرة فقط كطرابلس وبنغازي ودرنة والخمس.

وأسس العثمانيون أول مستشفى في مدينة طرابلس سنة 1838 عرف بالمستشفى العسكري وسعته 250 سريرا، ثم قام الوالي أحمد عزت بإنشاء مستشفى في مدينة الخمس ومستشفى آخر في مدينة بنغازي، وفي سنة 1853 تم بناء مستشفى المنشية في عهد السلطان عبد المجيد، في عهد أحمد راسم باشا تم بناء مستشفى مدني بطرابلس مجهز ببعض الوسائل الحديثة، وأطلق عليه مستشفى الغرباء ويتكون من ثلاثة طوابق كل طابق يحتوي على أربعة عشر غرفة، حجرة للعمليات وصيدلية (بن موسى، تيسير، 1988: 280)

رغم هذه الإجراءات الصحية التي قامت بها الدولة العثمانية لمكافحة الأمراض والحد من انتشارها في ولاية طرابلس، وبسبب انتشار الأوبئة، والأمراض لجأ السكان المحليين إلى الطب الشعبي الذي توارثه الأبناء من الآباء وحفظوا أسراره، وفقهوا فيه، وهو قائم على التجربة والممارسة معتمدين في ذلك على بعض الأعشاب كالزعتر، والروبية، والثوم، والكافور، والحلبة، والشيح، والشب، والبصل، وزيت الزيتون، والعسل، واللجوء إلى الحجامة، والكي بالنار، والخرت، وهو يشبه إلى حد ما فكرة الإبرة الصينية، والحمية، وهي امتناع المريض عن تناول الطعام، لكي يتعافى ويتم شفاؤه، وعرفها السكان من خلال العرب الأوائل الذين يقولون " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"، وهو يعرف بالصوم الطبي الذي ظهر حديثا، وتوجد له مدارس طبية في بعض الدول العربية والأوروبية. (حكمت عبد الحكيم، 1989: 71).

-خاتمة "النتائج":

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي:

-أن ولاية طرابلس الغرب شهدت العديد من الأوبئة التي كان لها الأثر السلبي على السكان اقتصاديا واجتماعيا، وأدت الى موت الكثير من سكان الولاية، كما نلاحظ من

الدراسة أن أغلب الأوبئة التي انتشرت في الولاية قادمة من خارجها ودخلت إليها عن طريق السفن التجارية، أو القوافل التجارية البرية.

كما بينت الدراسة ضعف وقلة الإمكانيات الصحية لليبيا خلال فترة الدراسة، وعدم اهتمام السلطات المتعاقبة على حكم ليبيا بالسكان المحليين كان له الأثر السلبي عليهم، لذلك كانت أكثر الوفيات منهم مقارنة بالجنود تلك الدول والقناصل الأوروبيون في الولاية.

ومن خلال الدراسة نستطيع أن نلاحظ بوضوح أنه بعد تفشي الأوبئة في البلاد وحصدها للكثير من الأرواح اتخذت السلطات الحاكمة فيها العديد الإجراءات لمكافحتها والحد من انتشارها في الولاية، فمن الناحية الاقتصادية نظرا لارتباط موانئ الولاية تجاريا بالعديد من الموانئ الدولية فقد اتخذت السلطات الحاكمة قرار بعدم السماح للسفن بالرسو في موانئ الولاية، وشددت الإجراءات عليها حتى أنها قامت بإرجاع العديد منها، اتبعت أيضاً سياسية المحاجر الصحية في كل موانئ ليبيا؛ إضافة إلى إنشاء مراكز صحية أو مستشفيات خاصة لعزل المصابين بهذه الأوبئة وعلاجهم، وفرضت عقوبات مالية على كل شخص يعارض الأوامر الصادرة من الحكومة بخصوص دخول المناطق التي يظهر بها أي الوباء، إضافة إلى الاهتمام بإعطاء اللقاحات اللازمة لكل السكان، وهذا الأمر أدى بطبيعة الحال إلى تقليل تلك الأوبئة والأمراض وانقراض بعض منها كالطاعون والجدري.

قائمة المصادروالمراجع:

- أبو شويرب، عبد الكريم، 2009، الأوضاع الصحية في المجتمع الليبي في الفترة ما بين 1835-1950، أعمال ندوة الأوضاع الصحية في ليبيا 1835-1950، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا .
- أنتوني كاكيا، 1975، ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 1835-1911، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا.
- بازامة، محمد مصطفى، 1994، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، دار الحوار، بيروت، لبنان.

- بن موسى، تيسير، 1988، المجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس.
- تـوللي، الأنسـة، 1967، عشـر سـنوات في بـلاط طـرابلس، ترجمـة عبـدالجليل الطـاهر، الجامعة الليبية ،بنغازي، ليبيا.
- جريدة طرابلس الغرب، العدد 1370- الصادرة بتاريخ 6 رجب 1329 هـ/ 1911
- جريدة طرابلس الغرب، العدد 1338- الصادرة بتاريخ 14 شوال 1328هـ/ 1910.
- جـيمس ريتشاردسـن، 1993، ترحـال في الصحراء، ترجمـة الهـادي أبـو لقمـة، جامعـة قاريونس ، بنغازي.
- حسـن الفقيه حسـن، 1984،اليوميات الليبية 1551-1832، الجزء الأول، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- حكمـت، عبـد الحكيم، 1989،الطب أشـعبي في ليبيـا، ترجمـة عبـد الكـريم أبوشـويرب، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس.
- دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة حول إبلاغ الوالي محمود نديم قنصل ايطاليا بتخصيص محجر صحي ببرج أبي ليلى
- دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة مؤرخة في 12 يوليو 1883،(حول إشعار إلى ناحيتي تاجوراء وجنزور بعدم السماح إلى السفن القادمة من مناطق مشبوهة بالإصابة بالرسو بها)
- دار المحفوظات التاريخية، (وثيقة بخصوص إنشاء كردونات " نقاط حراسة" بسرت لمنع القادمين من المناطق الشرقية الموبوءة بالتوجه إلى المناطق الغربية)
- دار المحفوظات التاريخية، ملف الصحة، وثيقة رقم 832، بخصوص إبلاغ والي طرابلس وزارة الداخلية في اسطنبول بعدد المصابين بوباء الكوليرا.
- دار المحفوظات التاريخية، ملف الكراغلة، وثيقة بخصوص إنشاء كردونات (نقاط حراسة أو مراقبة) بسرت لمنع القادمين من المناطق الشرقية الموبوءة بالتوجه إلى الغرب.
- دار المحفوظات التاريخية، وثيقة رقم870، بخصوص انتشار وباء الطاعون بين اليهود
- الديك ،محمود أحمد، 2009،الأوضاع الصحية في طرابلس منذ العهد العثماني وحتى فترة الاسـتعمار الايطـالي، نـدوة الأوضـاع الصـحية في ليبيـا1835-1911، المركـز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.

- روسي، اتوري ، 1974،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة: خليفة محمد التبسي، دار الثقافة، بيروت.
- سويسي، محمد، 2009 ، واحة أوجلة ما بين الهجرة والمرض، ، أعمال ندوة الأوضاع الصحية في ليبيا 1835-1950،المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية- طرابلس- ليبيا.
- صحيفة طرابلس الغرب، العدد 1344 ، سنة1910 .
- صحيفة طرابلس الغرب، العدد 1345، سنة 1910.
- عبد القادر جامي، 1979،من طرابلس إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي، طرابلس، ليبيا.
- محمد عثمان الحشائشي، 1988،الرحلة الصحراوية عبر بلاد طرابلس والطوارق، تقديم محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، تونس.
- مروان، محمد عمر، 2009، الأوضاع الصحية والإجراءات الوقائية خلال العهد العثماني الثاني، أعمال ندوة الأوضاع الصحية في ليبيا 1835-1950، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.
- Arnaud, Léonard (Dr). Essai sur la peste de Benghazi d'Afrique, par le Dr Léonard Arnaud 1888. Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France.
- Marc-Andre Pey, Tripoli de Barbrie sous Ies derniers Qaramanli (1754-1832) .